استراتيجيات التعليم عن بعد

احماد وفروخ

أستاذ، مملكة المغربية

الملخص

مما لا شك فيه أن لجائحة كورونا الأثر السلبي على العالم أجمع؛ وتولدت عنها مجموعة من القضايا النفسية والاجتماعية التي غيرت جذرية الكثير من الالتزامات، ومن أهمها الجانب التعليمي الذي نتج بسببها غلق أبواب المدارس والمعاهد والكليات. لكنها في المقابل أشعلت طريق التفكير الناقد الإبداعي في الكثير من مجالات العلم والمعرفة ولاسيما في مجال كان مغيبا بل غير مرحب به في كثير من الأماكن والبقاع: إنه التعليم عن بعد؛ الذي كان سببا في تغيير مسؤوليات المدرس،وفي ظهور مصطلحات جديدة من قبيل: التعليم المدمج، والتعليم عن بعد، والتعليم الجيد، والتعليم الرقمي(الإلكتروني)، والمنصات الافتراضية.

كلمات مفاتيح: الجائحة، التعليم المدمج، التعليم عن بعد، قضايا نفسية واجتماعية، الإبداع

مشكلة البحث:مع بداية جائحة كوفيد-١٩، بدأ الأساتذة والمتعلمات والمتعلمون فجأة تجربة التعليم عن بعد، ولم يكونوا على دراية مسبقة بكيفية استخدامهم الحاسب والهواتف الذكية، فبدأوا يتساءلون عن "استراتيجية هذا النوع من التعليم". ويشكل التساؤل السالف الذكر إشكالية مركزيةتتفرع عنها أسئلة حاولت أكاديمية التميز بالهند وقسم اللغة العربية بكلية ممبادكيرلا الهند مقاربتها خلال الدورة التكوينية المنظمة من٩ إلى ١٤سبتمبر ٢٠٢٠، وهي كالآتي:

- ماذا يقصد بالتعليم الإلكتروني؟
- ما هو التعليم المدمج؟وما أنماطه؟ وما مزاياه؟ وما أهدافه؟
- ماذا يقصد بالمنصات الافتراضية؟ وما أهميتها؟
- ما القضايا النفسية والاجتماعية في قطاع التعليم بعد الجائحة؟ وما التعليم الجيد

المرغوب تحقيقه؟

- ماذا يقصد بالتفكير الناقد والإبداعي وفق منظور إسلامي؟
- ما هي مسؤوليات طرفي العملية التعليمية-التعلمية في عصر الثورة الصناعية الرابعة؟

أهداف البحث: تنشد هذه الورقة العلمية الإسهام بقيمة مضافة من زاوية تتعلق بالجانب المعرفي والمفهومي والتطبيقي المرتبط بالتعليم عن بعد عبر إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات؛ حيث تعد هذه الأخيرة المادة للحياة المعاصرة والمستقبلية، عصر الثورة الصناعية الرابعة.

منهج الدراسة: اعتمدت في الدراسة على مناهج عدة أهمها المنهج الوصفي والتاريخي المقارن والتحليلي؛ من خلال الانطلاق من تطور وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التدريس، ثم ما فرضته جائحة كوفيد-١٩، إلى التعليم المدمج وعن بعد، عبر تقنياته المختلفة، والتي تعد المنصات الافتراضية أهمها وأحدثها.

النتائج: تصنف الدول اليوم وفق تعميم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم إلى متقدمة ونامية ومتخلفة. بحكم أن الأولى امتلكت زمام العلم والمعرفة والتقنية والتكنولوجيا، والثانية اقتصر دورها على التطبيق والاستخدام، أما الثالثة فما زالت تمثل دور المتفرج. وعليه "شاع استخدام مصطلح "الفجوة الرقمية" في خطاب التنمية المعلوماتية التي يقصد بها تلك الهوة الفاصلة بين الدول المتقدمة والدول النامية في النفاذ إلى مصادر المعلومات والمعرفة والقدرة على استغلالها حتى عادت المجتمعات على أصناف هي: مجتمع المعلومات؛ ومجتمع المعرفة؛ ومجتمع التعلم؛ ومجتمع الرقمنة." واستنادا على هذا المعطى، وانطلاقا من ان الدور الحاسم والمتنامي للتعليم عن بعد- بحسب ماتجمع عليه الدراسات المختصة- في أنظمة التعليم ومناهجه، فإن تشجيع التفوق والتجديد والبحث التربوي والتعلم الذاتي في هذا المجال، أصبح فرضا عين على جميع مكونات المجتمعات أفرادا كانت أم مؤسسات.

من أجل توجيه الرأي العام الدولي عامة والمهتمين بالحقل التربوي التعليمي خاصة، نحو استراتيجيات التعليم عن بعد، نظمت أكاديمية التميز وقسم اللغة العربيةبكلية ممبادكيرلا الهنديتين دورة تكوينية (عن بعد عبر منصتيZoom وFacebook من اليوم التاسع إلى اليوم الرابع عشر من شهر سبتمبر ألفان وعشرون ميلادية، الموافق لعشرين وخمسة وعشرين

صفر ألف وأربعمائة واثنان وأربعون هجرية)؛ من خلالها سُلِّطت الأضواء الكاشفة على مجموعة من القضايا التي ستمنح المستفيدين والمتتبعين- بدون ريب-إطارا مرجعيا سيمكنهم من التعرف أولا على ماهية كل من التعليم المدمج والتعليم عن بعد، ثم على القضايا النفسية والاجتماعية في قطاع التربية والتعليم بعد جائحة كورونا. الأمر الذي سيجعلهم متمكنين من تطوير كفايات عرضية لتوظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الممارسات الصفية بعد أن تم تزويدهم بسيناريوهات توظيف المنصات الافتراضية، وتحديد مسؤوليات طرفي العملية التعليميةفي عصرنا هذا؛ عصر الثورة الصناعية الرابعة.

أولا: التعليم الافتراضي: النشأة والماهية

إذا ما أعدنا النظر في كيفية نشأة التعليم وانتقاله من مستواه التقليدي إلى مستواه الآني المرقمن، نلمس حقيقة لا امتراء فيها، هي أنه لا سيادة لأية أمة في أي عصر من العصور إلا بالعلم وما لها من أهلية تقنية وتكنولوجية عالية؛ ففي بداية القرن الماضي ونتيجة ل:

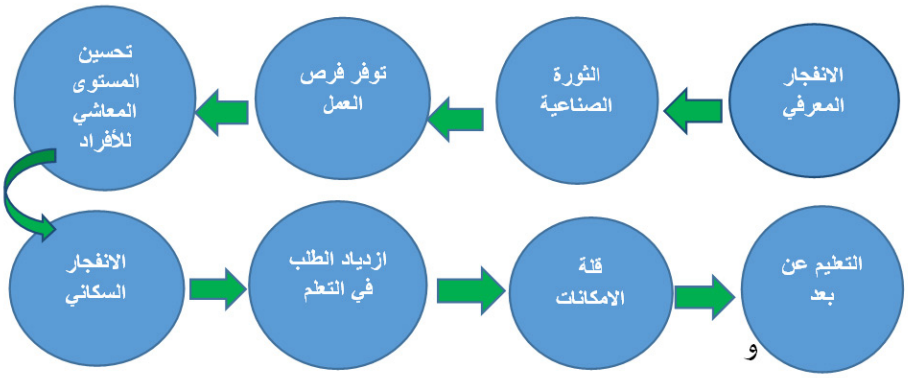

[2]

هكذا ظهر **التعليم الافتراضي** الذي تعددت تسمياته (التعليم الرقمي، التعليم الآلي، التعليم الإلكتروني...) كما تعددت الآراء والتعاريف حول ماهيته؛ فاعتبره نبيل عكيوش"نظاما تفاعليايعتمد على بيئة إلكترونية متكاملة، ويستهدف بناء المقررات الدراسية بطريقة يسهل توصيلها، بواسطة الشبكات الإلكترونية، وبالاعتماد على البرامج والتطبيقات التي توفر بيئة مثالية لدمج النص بالصورة والصوت، ويقدم إمكانية إثراء المعلومات من خلال الروابط... فضلا عن إمكانية الإرشاد والتوجيه وتنظيم الاختبارات وإدارة المصادر والعمليات وتقويمها."[١]

١ نبيل عكيوش،»التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد بالجامعة الجزائرية»، مجلة المكتبات والمعلومات، ٢٠١٠، العدد٣، ص١٣٢.

ثانيا: التعليم المدمج والمنصات الافتراضية

رغم المزايا المتعددة للتعليم الإلكتروني ك"التفاعل الثنائي المتبادل بين المتعلم والحاسب، والإثارة والتشويق والدافعية، وتحييد عناصر الخوف والرهبة والخجل من نفس المتعلمين،وإثراء المادة التعليمية بالخبرات والمعلومات والتجارب..."[٢] فقد تعرض لانتقادات كثيرة، منها: الشعور بالعزلة وغيات المشاعر، والمشكلات المتعلقة بالتقويم، والكلفة المادية، والمشكلات الفنية... نتج عنها ظهور نموذج جديد سمي بالتعليمالمدمج**blended learning** ؛ "الاسم الذي أطلقته شركةإيبيك أول مرة سنة ١٩٩٩ لتصف به طريقة اعتمادها على الحاسوب في برامجها التعليمية."[٣]

تعريفه: ولقد سمي هذا النموذج بمسميات، منها: التعليم المزيج، والتعليم الخليط، والتعليم المتمازج، والتعليم المؤلف والتعليم الهجين: إنه"أحد صيغ التعليم أو التعلم أو التدريب التي يتكامل أو يندمج فيها التعليم الإلكتروني مع التعليم الصفي (التقليدي) في إطار واحد؛ حيث توظف أدوات التعليم الإلكتروني سواء المعتمدة على الحاسوب أو المعتمدة على الشبكات online بنوعيها المتزامن وغير المتزامن، وجلسات offlineوالتي تتم غالبا في قاعات الدرس الحقيقية التي يلتقي فيها المعلم مع الطلاب وجها لوجه، المجهزة بإمكانية تكنولوجية حديثة.

أنماطه

- التعليم وجها لوجه Face-to-face Drive
- التناوب Rotation
- مختبر على الإنترنيت Online Lab
- الدمج الذاتي Self-blend
- التعلم المرن Flex
- النموذج الانت مزاياه؛

مز اياه متعددة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- خفض نفقات التعلم بشكل كبير بالمقارنة مع التعلم الإلكتروني لوحده؛

٢ : //٢٠٥inf/www.almegbel.net/articles.php?action=listarticles&id=٣:

٣ ماجدة إبراهيم الباوي، أستاذة بكلية العلوم الصرفة، جامعة بغداد، العراق، التعليم المدمج: طرائق ناجحة وأساليب تطبيقية (الثلاثاء ٨ شتنبر ٢٠٢٠، عبر منصة Zoom)

- توفير الاتصال وجها لوجه؛ مما يزيد من التفاعل بين الطلاب والمعلم، وبين الطلبة أنفسهم، وبين الطلبة والمحتوى؛
- الاستفادة من التقدم التكنولوجي في التصميم والتنفيذ والاستخدام؛
- تكامل نظم التقويم التكويني والنهائي للطلبة والمعلمين...

أهدافه كثيرة، منها:

- توفير الصفوف بأجهزة الحاسوب وجهاز عرض Data Shaw متصل بالأنترنيت؛
- توفير مقرر إلكتروني لكل مادة؛
- توفير نظام لإدارة التعليم(Learning Management System(Canvas ,Moodle , Microsoft Teams,Google Classroom,Edmodo...) LMS)
- توفير نظام إدارة المحتويات(Learning Content Management System (LCMS
- توفير برامج التقويم الإلكتروني E.Evaluation
- توفير الصفوف الافتراضية بجانب الصفوف التقليدية بحيث يكمل كل منها الآخر (Edx،Future Learn،Coursera، إدراك، رواق...)

على الرغم من حداثة هذه الأخيرة (الصفوف الافتراضية) التي تتحدد انطلاقا من خلال:

"أ) ميزانية المؤسسة؛ب)بنيتها التحتية؛ ج)من طبيعة المساق؛د)عدد الطلاب المسجلين فيالمساق،"[٤] فقد أثبتت جل الدراسات أهميتها في العملية التعليمية التعلمية.

المنصات الافتراضية وأهميتها

يقصد بها "بيئة افتراضية Environnement virtuel أو الحقيقة الافتراضية كما يسميها البعض، وهي امتداد للتقدم التكنولوجي للحاسوب. فهي بيئة يتم إنتاجها من خلال الحاسوب بحيث تمكن المستخدم من التفاعل معها سواء أكان ذلك بتفحص ما تحتويه من خلال حاستي البصر والسمع أو بالمشاركة والتأثير فيها بالقيام بعمليات تعديل وتطوير. فهي عملية محاكاة لبيئة واقعية أو خيالية يتم تصورها وبنائها من خلال الإمكانات التي توفرها التكنولوجية الحديثة باستخدام الصوت والصورة الثلاثية الإبعاد والرسومات، لإنتاج مواقف مختلفة."[٥]

٤ محمد ريان، مدير مساعد بمركز المصادر المفتوحة والتعليم المدمج بالجامعة الأردنية، منصات التعليم عن بعد: الماهية والأهمية، (يوم الجمعة ١١ شتنبر ٢٠٢٠، عبر منصة Zoom)

٥ عبد اللطيف حسني، «تكنولوجيا الإعلام والتواصل التربوي البيئة الافتراضية)»، مبادرات تربوية، ماي ٢٠٠٩، العدد ٣، ص ٢٤

أهميتها

- "توفير الجهد والوقت لكافة أطراف العملية التعليمية-التعلمية؛
- سهولة الوصول لكافة المواد التعليمية في أي وقت واي زمان؛
- توفر وسائل إنشاء الواجبات والاختبارات لتقييم الطلاب؛
- مركزية البيانات وسهولة الرجوع إليها من كافة الأطراف؛
- تنوع اشكال المحتوى التعليمي من صور ورسومات وفيديوهات؛
- سهولة إيصال المعلومة والتغلب على صعوبة تعليم أعداد كبيرة..."[٦]

ثالثا: القضايا النفسية والاجتماعية في قطاع التعليم بعد الجائحة والتعليم الجيد

أدى ظهور جائحة كوفيد-١٩ التي خلفت وراءها آثارا وانعكاسات نفسية (الخوف والقلق...)، واجتماعية(العزلة الاجتماعية، الفقر...)، واقتصادية (ضعف القدرة الشرائية، التوقف عن العمل، إفلاس الشركات...)، ودينية (إغلاق أماكن العبادة)، وتعليمية ملموسة على وجه الخصوص (توقف التعليم، والتغذية، وعدم المساواة في إمكانية الانتفاع بمنصات التعليم الرقمية، والضغط غير المتوقع على نظام الرعاية الصحية، الخوف من تحصيل دراسي متدن، الرهاب المدرسي، قضية تكافؤ الفرص...) "في كافة مناشط الحياة البشرية الفردية والجماعية. -وقد أقرت الاحصائيات أن العدد الإجمالي لطلاب المدارس والجامعات الذين تأثروا بالاضطراب التعليمي الناجم عن كوفيد-١٩ بلغ مليار وستمائة مليون طالب- إلى رسم ملامح المنظومة التربوية التعليمية القادمة بعض النظر عما إذا كانت الجائحة ست رحل أم لا، عاجلا أو آجلا؛ إنه التعليم المعاصر السائد والتعليم الجيد المنشود: كلاهما يسعى إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة تتمثل في أحرف(مفت)؛ وهي ترمز فيما يتعلق بالتعليم المعاصر السائد إلى ثلاثية"مال"-"فراغ"-"ترفيه."[٧] بينما ثلاثية أهداف التعليم الجيد المنشود فهي:"معنى"-"فعالية"-"تزكية".

وبهذا الشكل حدد الدكتور المحاضر الهدف النهائي للتعليم الجيد حسب رؤيته التربوية

---

٦ محمد ريان، مد ير مساعد بمركز المصادر المفتوحة والتعليم المدمج بالجامعة الأردنية، منصات التعليم عن بعد: الماهية والأهمية، (يوم الجمعة ١١ شتنبر ٢٠٢٠، عبر منصة Zoom)

٧ أبو صالح لقمان، مستشار تربوي ورئيس قسم البحوث لمؤسسة سدرة لدمج أصحاب الهمم، أبو ظبي، المنظومة التربوية بعد الجائحة، (يوم الخميس ١٠ شتنبر ٢٠٢٠، عبر منصة Zoom)

في معادلة رمزية QE=EBUC؛ لتي تعني التعليم الجيد= السلوك المتوقع تحت ظروف غير متوقعة."

وبما أن النجاح او الفشل الدراسي قد يكون مرتبطا بالظروف الاجتماعية والنفسة لتقبل ما يدرسه المتعلم، أو من خلال تدبيره للحياة المدرسية داخل المؤسسة التي ينتمي إليها، أو مرتبطا أيضا بقدراته العقلية، فتعلم العبقري مختلف عن متوسط الذكاء، أو عمن يعاني نوعا من أنواع الإعاقة، فكلهم قد يتعرضون أو يعرفون معنى النجاح أو الفشل في فترة من فترات حياتهم الدراسية. كما ان للمدرس أو لطريقة التدريس أو شكلها، وللمنهاج أيضا دور في تقبل المتعلم للدراسة والاستجابة لها والتفاعل معها أو رفضها واتخاذ موقف سلبي اتجاهها.

رابعا: التفكير النقدي ومسؤوليات طرفي العملية التعليمية-التعلمية في عصر الثورة الصناعية الرابعة

إذا ما نظرنا إلى وقع التعليم في بلدننا-المغرب على وجه التحديد-نجد ان التلميذ يعتمد أساسا على اكتساب معظم معارفه نظريا ولا يتاح له من الممارسة والتجريب لهذه المعارف على أرض الواقع إلا القليل، ويعود ذلك لعدة أسباب منها افتقار مؤسسته التعليمية للمختبرات والأجهزة المناسبة... وأيا كانت الأسباب فالتلميذ هو الضحية؛ فعند إنهاء مرحلته الدراسية سيجد الهوة بين ما تعلمه نظريا وبين ما هو موجود في الواقع. وهذه مسالة يحاول العديد من ذوي الاختصاص إيجاد مخرج لها منذ زمن بعيد قبل عصرنا هذا الذي يوصف بعصر الثورة "الصناعية الرابعة. التي تعرف بانها:

- عصر الاتصالات العالمية؛
- عصر الذكاء الاصطناعي؛
- عصر تخزين ووصول غير محدود إلى المعرفة."[٨]

في ظله هدا العصر، أصبح الأستاذ مرتبطا بتصميم التعليم وتوظيف التكنولوجيا ثم تشجيع دافعية المتعلمين. أما المتعلم فتعدد مصادر المعرفة لديه في زمن الديجيتال هذا، حتم عليه أن بنمي "مهارة القراءة الناقدة والتفكير النقدي الذي هو أحد اهم مهارات التعلم في قرننا هذا، إلى جانب هذه المهارات والقيم التي تعتبر صفات أساسية تدعم الافراد في تنمية قيم ومهارات البقاء والنشاط والمشاركة في مجتمع المعرفة:

٨ محجوبة العوينة، أستاذة بأكاديمية طنجة تطوان الحسيمة، المملكة المغربية، مسؤوليات المدرس في عصر الثورة الصناعية الرابعة، (يوم الإثنين ١٤ شتنبر ٢٠٢٠، عبر منصة Zoom)

- المرونة Flexibility؛
- الشعور بالمسؤولية واحترام الذات؛
- القدرة على ممارسة التعلم الذاتي والاستمرار في التعليم مدى الحياة؛
- مهارات التعامل مع المخاطر والتغيرات السريعة، وغدارات الأزمات، والتواصل، والقيادة؛
- المشاركة كمواطنين في المجتمع على المستويات المحلية والوطنية والدولية.

إنه التفكير الذي اوقدت لهيبها تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية مصداقا لقول الله عز وجل (إذ قال إبراهيم: رب أرني كيف تحيي الموتى، قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي). وفي خضم هذا التحول، تغيرت أدوار ومسؤوليات طرفي العملية التعليمية-التعلمية،"[٩] فأصبحت كما هو مبين في الجدول أسفله:

خلاصة

لايمكن للتعليم كيفما كان نمطه أن يقوم إلا على نظامين أساسيين لا ثالث لهما:

نظام تعليمي: يهتم بتقديم المقررات الحضورية أوالرقمية أو عما معا عبر الحاسوب وشبكاته باستخدام الوسائط المتعددة إي مقررات رقمية، ويتم تفاعل المتعلم معها بطريقة تزامنية وغير تزامنية مع تلقيه للتغذية الراجعة.

نظام إداري: يهتم بالجانب الإداري للتعليم الرقمي أو المدمج، ويعتبر هذا النظام من أهم مكونات أنماط التعليم المختلفة. فهو منظومة متكاملة مسؤولة عن إدارة العملية التعليمية، وهذه المنظومة تتضمن القبول والتسجيل، والمقررات، والفصول الواقعية والافتراضية، والاختبارات والواجبات الورقية والرقمية، ومنتديات النقاش التعليمية، والبريد الإلكتروني والتقويمات ..."[١٠]

وإذا كان النظام هو من يتولى تسيير المشروع ويضمن بقاءه في سياق "بنية عاملية" تتفاعل عواملها بشكل أفقي تكفل نجاحه "فإن للتعليم الرقمي ثلاث صيغ أو نماذج يتم ظهر فيها. وهي النموذج الجزئي أو المساعد، والنموذج المختلط أو التفاعلي، والنموذج الكامل أو المفتوح. وفي هذا الإطار يحق لكل مدرسة توظيف واحدة من الصيغ المذكورة

٩ أبراهيم أوزدمير، أستاذ بقسم الفلسفة، جامعة أسكودار، إسطنبول، تركيا، التفكير الناقد والإبداعي: مقاربات فلسفية وفق منظور إسلامي، (يوم الأحد ١٣ شتنبر ٢٠٢٠، عبر منصة Zoom)

١٠ حسن شحاتة، التعليم الإلكتروني وتحرير العقل، (دار العالم العربي، ط١، يناير ٢٠١٠) ص١٨

آنفا أو كلها مجتمعة، وذلك حسب المسالك ومستوى الصعوبة فيها والتعقيد. إذ كلما كان المستوى معقدا وصعبا، كان اختيار النموذج الأقدر على تبسيطه وتذليله بحسب الوسائط والتقنيات المستعان بها فيه."[١١]

إن التعليم باعتماد تقنيات الحاسوب وبرامجه؛ أضحى ضرورة تمليه معطيات العصر وتنظيماته، حيث يهيئ الفرصة للاضطلاع بالأنشطة التعليمية من لدن المتعلم المستهدف منها، ومن ثم توصيف كفاءاته وقدراته في مواجهة مختلف الوضعيات التعليمية-التعلمية التي تصادفه داخل الفصل أو حتى التي يفرضها عليه مقامه التواصلي بشقيه الرقمي والحضوري.

١١ المرجع نفسه، ص١٨